طرائف صوفية

- **محاضرة لسيدي العارف بالله حسن كامل الملطاوي... نفعنا الله به وأمدنا بمدده**
- **في الصوم :**

يقول الإمام أبو طالب المكي رضي الله عنه أن الصوم عند الصائمين هو صوم القالب الجسدي (أي الجسد) ، أما صوم الخصوص من المؤمنين فهو صوم القلب (أي الروح) عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ، ثم صوم السمع والبصر واللسان عن تعدي الحدود ، وصوم اليد والرجل عن البطش والسعي في أسباب النهي ، فمن صام بهذا الوصف فقد أدرك وقته في جملة يومه ، وصار له في كل ساعة من نهاره وقت ... وقد عمر يومه كله بالذكر... و لمثل هذا قيل" نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح "

فمن صام عن الأكل والجماع ،و تعدي الحدود وأضاع..... فهو مفطر عند الله عز وجل ، صائم عند نفسه لأن ما أضاع أحب إلى الله عز وجل وأكثر مما حفظ .

- **في لطف الله بعبده :**
- يقول الإمام القشيري رضي الله عنه : من لطفه تعالى بعباده أنه أعطاهم فوق الكفاية ، وكلفهم دون الطاقة ، قال سبحانه (وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) والأسباغ ما يفضل عن قدر الحاجة ، وقال في صفة التكليف (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقال الله تعالى (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) ....والإصر هو الثقل ، والأغلال الشدائد ، وقال صلى الله عليه وسلم (بعثت بالحنيفية السمحة السهلة) الحنيفية أي الشريعة المائلة عن كل دين باطل ، وقال صلى الله عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)

وإنه تعالى لما أوجب على العبد في اليوم والليلة خمس صلوات ، لم يكلفه أن يؤديها دفعة واحدة بل جعلها عليه منجمة ، فصلاة يومك لم يقبضها منك دفعة واحدة ،و أعطاك من الرزق ما يكفيك لسنين كثيرة و أنت تشكو وتتهم .

- ومن لطفه تعالى بالعباد حفظ التوحيد في القلوب وصيانة العقائد عن الارتياب وسلامة القلوب عن الاضطراب قال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)

فإن بقاء المعرفة بين وحشة الذلة ، أعجب من إخراج اللبن بين الفرث والدم ..الفرث (هو تفل الكرش)، ولكن جرت سنته سبحانه بحفظ كل لطيفة بين كل كثيفة ، بل أجري سنته باخفاء الودائع

في مواضع مجهولة ،و كما أنه جعل الحجر الصلد معدن الذهب والفضة وكثير من الجواهر ، جعل كذلك القلوب معادن العقائد الصافية والمعارف الصحيحة .

- ومن لطفه تعالى بالعباد أنه يوفقهم لذكره والرجوع إليه ومناجاته ورفع الحوائج بحضرته ودوام المناجاة معه متى شاءوا مع كثير ما يتعاطونه من مخالفة أمره ، فسبحانه ما أحلمه على العاصمين وأكرمه للمؤمنين .
- **<u>في الموازنة بين الدنيا والآخرة :</u>**
- قال بعض العارفين : عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة ، فأصبته في حرفين من كتاب الله الكريم وهو قوله تعالى (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون)
- ويقول الإمام ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه في حكمه : العاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفني .
- ويقول الإمام مالك بن دينار رضي الله عنه : مررت بقبر فوجدت بهلول المجنون قاعدا بين القبور ، وهو عريان إلا ما يستر عورته ، فأتيت نحوه لأستفيد من طرائفه ، فوجدته تارة ينظر إلى السماء فيستهل ، وينظر إلى الأرض فيعتبر ، وتارة ينظر عن يمينه فيضحك ، وتارة ينظر عن شماله فيبكي ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، فسألته عما رأيت من حاله.... فقال يا مالك : أرفع رأسي إلى السماء فأذكر قوله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون)... فأستهل ، وانظر إلى الأرض فأذكر قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)... فأعتبر ، وأنظر عن يميني فاذكر قوله تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين)... فأضحك ، وأنظر إلى شمالي فأذكر قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال)... فأبكي .

فقلت : يا بهلول إنك حكيم ، أتأذن لي أن أشتري لك قميص قطن.... قال:افعل ، فسارعت للسوق وأتيته بقميص قطن .... فنظر إليه وقلبه يمينا وشمالا ورمى به إلي وقال : ليس مثل هذا أريد ، قلت: وكيف تريده؟ قال : أريد قميصا من الإخلاص.... محفوظا من الدنس والانتقاص... غرس قطنه بالحقائق.... وحرس من جميع البوائق.... سقاه جبريل بماء السلسبيل فأينع حسنا وأثمر قطنا.... فلقطته أيدي الكرام البررة التالين سورة الحمد والبقرة.... ثم حلجته أكف الوفاء بعز وصفاء من غير جفاء.... ثم نخلته الأوتار المتصلة بالأنوار..... وغزلته مغازل الحمد والثناء بالمحبة والاعتناء.... جعلت الجنة لناسجة ثوابا.... وكان هو للابسه من النار حجابا... فهل تقدر يا مالك على مثل هذا ؟

فقلت : إنما يقدر عليه من خصك بوصفه ، والهمك لمعاينته وكشفه ، ثم قلت له : يا بهلول ، صف لي لألبس هذا القميص ، فقال : نعم ...إنما يلبسه من خصه الله بأنواره .... و كتبه في ديوان أبراره.... وأحياه بالسابقة .... وقواة بالعزيمة الصادقة..... فجسمه بين الخلق يسعى..... و قلبه في الملكوت يرعى.... فلا يتكلم بغير ذكر الله لفظه.... ولا ينظر لغير الله لحظة ثم صاح صيحة عظيمة وقام وهو يقول :

إليك فر الهاربون..... و نحوك قصد الطالبون.... و ببابك أناخ التائبون .

- وقد سئل الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عن الدنيا ، فقال: اخرجها من قلبك واجعلها في يدك ، فإنها لا تضرك .
- ويقول الإمام زروق رضي الله عنه : الدنيا كالحية وليس الشأن في قتل الحية إنما الشأن في امساكها حية .
- ويقول الإمام الشطيبي رضي الله عنه : اعلم أن الاعراض عن الدنيا إنما هو بالقلب ، ومتى كان القلب معلقا بها لم ينفع زوالها من اليد ولا قطع أسبابها ، بل المطلوب زوالها من القلب سواء كانت في اليد أو لم تكن.... قال تعالى لمن أعطاه ملك الأرض بحذافيرها سليمان عليه السلام (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)..... وقال فيه أيضا (نعم العبد إنه أواب)
- وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول لتلاميذه : كلوا من أطيب الطعام واشربوا من ألذ الشراب.... وناموا على أوطأ الفراش..... والبسوا ألين الثياب... فإن أحدكم إذا فعل ذلك وقال الحمد لله يستجيب كل عضو فيه للشكر ، بخلاف ما إذا كل خبز الشعير بالملح.... ولبس العباء ونام على الأرض.... وشرب الماء المالح السخن.. وقال الحمد لله... فإنه يقول ذلك وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور الله تعالى... ولو أنه نظر بعين البصيرة لوجد الاشمئزاز والسخط الذي عنده يرجح في الاثم على من تمتع بالدنيا بيقين ...فان المتمع بالدنيا فعل ما أباحه الحق سبحانه وتعالى... ومن كان عنده اشمئزاز وسخط فقد فعل ما حرمه الحق عز وجل .
- **<u>في ميزة الانسان :</u>**
- قال بعض العارفين : لما قال الله تعالى (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

نبههم على حسن الخلق بما دلهم على صفة الأرض.... وذلك أنه يلقى عليها كل قبيح فتخرج كل زهرة وخضرة..... وهكذا المؤمن ينبغي أن يكون متأنسا غير متوحش .... متحملا للجفا غير منتقم..... لا يقابل بالجفا إلا قابل الجافي بالاحتمال وجميل الأغضاء .

وقال الله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) وهذا تخصيص للانسان من بين المخلوقين... وقال سبحانه في آية أخرى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) وهذا أيضا مما لا يشاركه فيه غيره . واعلم أن حسن التصوير وإن كان في ظاهرة الخلق(بفتح الخاء) فإن حقيقة ذلك اتم في باب الخلق (بضم الخلق) فإن الله تعالى أحسن خلق الأكثرين وقليل من حسن خلقه.... وكما أن الآدمي يفارق البهائم بتركيب القامة وترتيب الأعضاء ..... فالخواص تباين العامة بحسن الخلق وخلوص الصفا..... ولم يمن الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وسلم بشيء كما من عليه بحسن خلقه ، ألا ترى كيف أثنى عليه بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) والانسان مستور بخلقه بين أمثاله ، مشهور بخلقه عن أشكاله .

- **<u>في المغفرة :</u>**
- يعلمنا الامام القشيري رضي الله عنه فيقول في ابداع واضح :

قال الله تعالى (ومن يعمل سوءاأو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما)

قوله تعالى (يعمل سوءا) اخبار عن الفعل ، وقوله (ثم يستغفر) اخبار عن القول ، كأنه قال : الذين زلاتهم أفعال توبتهم أقوال.... و قد سهل عليك الأمر من رضي عنك بمقالة ، وقد عملت ما عملت .... ثم انظر في قوله تعالى (يجد الله) طلبوا المغفرة فوجدوا الله أي نكتة لمن يعقلها ، وليس العجب من السيارة حيث طلبوا الماء ليشربوا فوجدوا يوسف.... إنما العجب من عاص طلب المغفرة فوجد الله تعالى .

- وقد سئل الإمام سهل بن عبد التستري رضي الله عنه عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب.....فقال : أول الاستغفار الاستجابة.. ثم الانابة.. ثم التوبة .. فالاستجابة اعمال الجوارح .. والانابة أعمال القلوب .. والتوبة اقباله على مولاه وترك الخلق .. ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه.. ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر .. فعند ذلك يغفرله ويكون عنده مأواه ... ثم ينقل إلى الأنفراد... ثم الثبات.. ثم البيان.. ثم القرب .. ثم المناجاة ..ثم المصاحبة لمولاه.. ثم محادثة السر وهو الخلة.. و لايستقر هذا في قلب عبده حتى يكون العلم غذاءه.. والذكر قوامه.. والرضا زاده.. والتفويض مراده.. والتوكل صاحبه .. ثم ينظر الله تعالى إليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش .

- **<u>في معرفة الله :</u>**
- يقول الإمام القشيري رضي الله عنه : إن تعظيم العبد لربه على حسب كماله ومعرفته ، ولو كنت تعرف قدره لما كنت تترك أمره ... ويضيف : وليس العجب من إخوة يوسف حيث

باعوه بثمن بخس دراهم معدودة... وانما العجب ممن باع نصيبه من ربه بحظوظ هي في الحقيقة مفقودة ... وإن كانت لذات ساعات بل لحظات موجودة.. ألا أنهم لو عرفوا قدر يوسف لما باعوه بثمن بخس ولكنهم وقفوا على ما صنعوا ، يوم وقفوا بين يديه في مقام الخجلة وخروا له سجدا بدلا من التمكن بساطة الوصلة ....قال الله سبحانه (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) وهذا جزاء من لم يعرف قدر قريبه ، فما بالك بمن لا يعرف قدر حبيبه .

- وكان الإمام الدقاق يقول : إن القلوب كانت متفرقة في الدنيا فقبضها الله تعالى بقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى).. فلما تعلقت القلوب بالآخرة قطعها سبحانه وتعالى عنها بقوله (والله خير وأبقى)
- ويقول الإمام أبو طالب المكي رضي الله عنه : إن العارف يكون مراعيا لوقته ، محافظا على حاله ، قائما على نفسه ، جامعا لهمه ، محصيا لأنفاسه ، مراقبا لرقيبه ، مجالسا لحبيبه لا يخرج عنه نفس في ادنى وقت إلا في ذكر المذكور ، أو شكر على نعمة المنعم ، أوصبر في محنة عتيدة ، أو رضا عند شدة شديدة ، ويكون في ذلك كله ناظرا إلى الرقيب ، مصغيا إلى القريب ، سائحا إلى الحبيب ، لا ينظر إلا إليه ، ولا يعكف إلا عليه ، وقد جعل العمر يوما ، واليوم ساعة . والساعة وقتا ، والوقت حالا ، والحال نفسا ، والنفس مراقبة ، والمراقبة مواجهة ، فتوجه في وجهته فلم ينثن ، وساح في قربه فلم ين ، فكان من الايمان على مزيد ، ومن اليقين في تجديد ، وأعطى من الحياة الطيبة بغير حساب ،و كشف له عن قلبه الحجاب ، فكانت المعرفة مقامه وقصرت عليه أيامه ، فكان وقته وقتا واحدا لواحد ، و كان قلبه واحدا لواحد ، وهمه منفردا لمنفرد .
- وقد قيل لبعضهم : ما مراد العارف ؟ قال : مراد معروفه ، وقيل لبعضهم : ما تشتهي ؟ قال : ما يقضي الله .
- وقد سئل الامام أبو الحسن النووي (تلميذ الامام جنيد) رضي الله عنهما وكان ذلك في مجلس المتوكل الخليفة العباسي فقيل له في سؤاله : من أنت ؟ ولم خلقت ؟ وما أراد الله بخلقك ؟ وأين هو ربك منك ؟

فأجاب : أما قولكم من أنت.. فأنا عبد الله لقوله تعالى (ان كل من في السموات والارض إلا آتى الرحمن عبدا)

وأما قولكم لماذا خلقت : فكان الله كنزا لا يعرف فخلقني لمعرفته... قال تعالى (وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون) أي ليعرفون ، كذا قال بن عباس وغيره ...

وأما قولكم ما أراد بخلقي : فما أراد الله بخلقي إلا كرامتي .... قال تعالى (ولقد كرمنا بني آدم)

وأما قولكم أين ربك منك: فهو مني حيث أنا منه.. لقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم)
فقال السائل : أخبرني كيف هو معك ومعنا في قوله (وهو معكم أينما كنتم)
قال : هو معنا كيفما كنا معه ، فإن كنا معه بالطاعة ، كان معنا بالعون والهدى كله إليه ، وإن كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة ، وإن كنا بالمعصية كان معنا بالمهلة ، وإن كنا بالتوبة كان معنا بالقبول ، وإن كنا بالترك كان معنا بالعقاب
قال السائل : صدقت... فأخبرني أين هو مني .....فقال النووي أخبرني أين أنت منه ، أعلمك أين هو منك ، قال : صدقت يا علي فيما قدمت .

- **<u>في الصبر :</u>**
- يقول الإمام الدقاق رضي الله عنه : ليس الصبر إلا تذكر البلاء لفظا ونطقا ، إنما الصبر ألا تعترض على قدرته استقباحا لذلك ونكرانه... وشاهده ما أخبر الله تعالى عن أيوب بقوله (مسني الضر)... ثم قال تعالى (إنا وجدناه صابرا نعم العبد الأواب) .....وكان رحمه الله يقول : علم الله ضعف هذه الأمة ، وإنهم لا يطيقون تحمل البلاء فجعل قصة أيوب سلوة لكل ممتحن يخبر عن شدة محنته ومقاساة صبره .
- ويقول الإمام القشيري رضي الله عنه : والعبادات في الصبر على أقسام : أولها التصبر وهو تكلف الصبر ومقاساة الشدة فيه،وبعد ذلك الصبر وهو سهولة تحمل ما يستثقله غيره من فنون القضاء وخروب البلاء ، وبعد ذلك الاصطبار وهو النهاية في الباب ، ويكون ذلك بأن يألف الصبر فلا يجد مشقة بل يجد روحا وراحة ، قال الشاعر :

تعودت مس الصبر حتى ألفته وأسلمت حسن العزاء إلى الصبر

وأنشدوا :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب يا صبر صبرا

- ويقول كذلك رضي الله عنه :

وأما يجب على العبد من الصبر فهو الصبر على ما أمر الله تعالى به من أوامره ، والصبر عما نهى عنه من محارمه ، والسكون تحت ما يجري قضاؤه به وقدره ، وفقنا الله تعالى لذلك بمنه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

- ويقول إمامنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الصبر على أربع دعائم ، الشوق والشفقة والزهد والترقب ، فمن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات .

- ويقول الإمام أبو طالب المكي : وقد شرك الله تعالى عباده في الشكر وأفرد عز وجل لنفسه الصبر ، فينبغي أن يكون المفرد للمفرد أعلا من المشترك بالعبد ، فقال تعالى : (إن اشكر لي ولوالديك)،وقال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل)،ولم يشرك من خلقه احدا في الصبر فقال تعالى (ولربك فاصبر) وقال (واصبر لحكم ربك)
- وفي الصبر على تأدية العبادات ، يقول الإمام القشيري رضي الله عنه : لمن تدخر مجهودك إذا لم تطلب معبودك ، هل تعرف أحدا يستحق ما يستحقه ، أو يوجد ما يخلقه ، إن دعوته أجابك ، وإن أطعمته أثابك ، وإن تركته امهلك ، وإن رجعت إليه واصلك ، وإن عرفته أحبك ، وبغير شفيع قربك ، وبلطفه كاشفك ، وبفضله لاطفك .
- ويقول الإمام سهل بن عبد الله رضي الله عنه : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ، ويعقب تلميذه الإمام أبو طالب المكي على ذلك بقوله : وكذلك قالت الصحابه رضي الله عنهم لما فتحت الدنيا فنالوامن العيش واتسعوا :"ابتلينا فتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر" فعظموا الاختبار بالسراء وهو ما سر على الاختبار بالضراء وهو ماضر ، وقد قال تعالى : (الذين ينفقون في السراء والضراء) فمدحهم بوصف واحد في الحالين المختلفين لحسن يقينهم وسخاوة نفوسهم .
- **<u>خلافة آدم عليه السلام :</u>**

قال العارف بالله سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه : كنت مع الشيخ (يقصد سيدي الإمام أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه) في السفر ونحن قاصدون إلى الاسكندرية حين مجيئنا من المغرب ، فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله ، فأتيت إلى الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه ، فلما أحس بي ... قال: أحمد.... قلت : نعم سيدي.... قال آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته ، و أسكنه جنته نصف يوم خمسمائة عام ، ثم نزل به إلى الأرض ، والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه ، و لكن نزل به إلى الأرض ليكمله ، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله (إني جاعل في الأرض خليفة)... ما قال في السماء ولا في الجنة ، فكان نزوله في الأرض نزول كرامة ، لا نزول إهانة ، فإنه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف ، فأنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة .

وأنت أيضا لك قسط من آدم كانت بدايتك في سماء الروح في جنة المعارف فانزلت إلى أرض النفس لتعبده بالتكليف ، فإذا توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة .

- **العطف في الفقراء :**
- حكى سيدي بشرا الحافي فقال : رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم.... فقلت له: عظني يا أمير المؤمنين... فقال لي : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبا للثواب ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله... فقلت: زدني يا أمير المؤمنين فقال :

قد كنت ميتا فصرت حيا وعن قريب تصير ميتا

عز بدار الفنـــــاء بيت فابن بدار البقــاء بيتا

- ويقول الإمام أبو طالب المكي رضي الله عنه : إذا دعا لك مسكين عند الصدقة ، فاردد عليه مثل دعائه فتخلص لك صدقتك ، وإلا كان دعاؤه مكافىء على معروفك ، ويستند الإمام في ذلك إلى أن أمي أم المؤمنين السيدة عائشة ...والسيدة أم سلمة رضي الله عنهما ، كانتا إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا لرسولهما احفظ ما يدعو به ، ثم يردان عليه مثل قوله ، ويقولان حتى تخلص لنا صدقتنا ، وفعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابنه الامام عبد الله بن عمر .

ويفضل السادة الصوفية إن تعطي الصدقة إلى الفقراء الصالحين الصادقين من أهل التصوف والدين ، ممن يؤثرون التستر والاخفاء ، والذين قال تعالى فيهم (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) ويقولون أن الله تعالى وصفهم فقال (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله) أي حبسوا في طريق الآخرة بضيق المعيشة ، وقال تعالى (لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ولا يسألون الناس الحافا) أي أنهم مقصصوا الأجنحة فلا يستطيعون السعي على معاشهم لضغف أو شيخوخة .

- ويروي الإمام أبو طالب المكي رضي الله عنه أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجه إلى بعض الفقراء بمعروف ، وقال لتابعة احفظ ما يقول ، فلما أوصله إليه قال : الحمد لله الذي لا ينسي من ذكره ، ولا يضيع من شكره ، ثم قال : اللهم انك لم تنسى فلانا (يعني نفسه) فاجعل فلانا لا ينساك ، فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر به وقال (قد علمت أنه يقول ذلك)
- ويقول الإمام أبوطالب المكي كذلك : أن الله تعالى وصف أهل الحاجة بأوصاف خمسة جاءت متفرقة في القرآن الكريم :

فقال تعالى (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) وقال الله تعالى (فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) وقال تعالى (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير)

والقانع هو الذي يقعد في بيته ، وتقنع بما يسوقه الله إليه ، من غير طلب ولا تعرض للسؤال ، والمعتر هو الذي يتعرض للناس بالسؤال ، وقد جاء في الخبر (ليس المسكين الذي ترده الكسرة والكسرتان والثمرة والثمرتان..... أنما المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه) .

وقد كان بعض الصوفية إذا جاءه فقير يسأله شيئا يهش في وجهه ويقول له " مرحبا بمن جاء يحمل زادي إلى الآخرة بغير أجرة "

ومن آداب السادة الصوفية انهم يدفعون في الزكاة المفروضة المئات ويعطون في صدقة التطوع الألوف، و يوسعون على الفقير بما يخرجه من حد الفقر إلى حد الكفاية والغنية .

- وكان الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه ، يأخذ من أرباح تجارته ما يكفيه هو وعياله قوت سنة ، وينفق ما زاد على ذلك بالغا ما بلغ ، فلا يتقيد بالزكاة المفروضة وحدها ، ولا عجب فقد كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المال مال الله وأنا عبده.

- **<u>بين الإمامين المرسي أبو العباس وبن عطاء السكندري :</u>**

يحكي الإمام ابن عطاء السكندري في كتابه لطائف المنن ما كان بينه وبين شيخه سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنهما فيقول :

كنت أنا لأمره من المنكرين وعليه من المعترضين ، لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه... حتى جرت بيني وبين أحد أصحابه مقالة وذلك قبل صحبتي إياه .....وقلت لذلك الرجل : ليس إلا أهل العلم الظاهر ، وهؤلاء القوم (يقصد الصوفية) يدعون أمورا عظيمة وظاهر الشرع يأباها .

لكني بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل .....قلت : دعني أذهب انظر إلى هذا الرجل (يقصد الإمام المرسي) فصاحب الحق له إمارات لا يخفى شأنه فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها.... فقال : الأول: اسلام .....والثاني : إيمان .....والثالث : إحسان وإن شئت قلت.... الأول : عبادة ....والثاني : عبودية .....والثالث : عبودة ...وإن شئت قلت ... الأول : شريعة ...والثاني: حقيقة ....والثالث : تحقق أو نحو ذلك ، فما زال يقول وإن شئت قلت وإن شئت قلت إلى أن بهر عقلي وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهي ومدد رباني فأذهب الله ما كان عندي .

ثم أتيت تلك الليلة إلى منزلي فلم أجد في شيئا يقبل الاجتماع بالأهل على عادتي ، ووجدت معنى غريبا لا أدري ما هو فانفردت في مكان... أنظر إلى السماء وإلى كواكبها... وما خلق الله فيها من عجائب قدرته... فحملني ذلك على العود إليه مرة أخرى .

فأتيت إليه فلما دخلت عليه قام قائما وتلقاني ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي أن أكون أهلا لذلك ، فكان أول ما قلت له : يا سيدي أنا والله أحبك ...قال : أحبك الله كما أحببتني ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان .... فقال : أحوال العبد أربع لا خامس لها : النعمة والبلية الطاعة والمعصية ، فإن كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وإن كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها ، وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجوب الاستغفار .....فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبا نزعته ..... ثم سألني بعد ذلك بمدة : كيف حالك... فقلت : أفتش عن الهم فلا أجده ....فقال :

ليلي بوجهـــك مشرق وظلامه في الناس ساري

والناس في سدف الظلام ونحن في وضح النـــهار

الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين ، يريد مذهب الشريعة أهل العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن .

- ويقول سيدي ابن عطاء أيضا : بت ليلة من الليالي مهموما ، فرأيت الشيخ في المنام فشكوت إليه ما أنا فيه ...فقال : اسكت والله لأعلمنك علما عظيما ، فلما انتبهت أتيت إلى الشيخ فقصصت عليه الرؤيا .....فقال : هكذا يكون إن شاء الله .

ويقول كذلك : وجاء الشيخ يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت عليه ...قال : يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل اوليائه وبهاك بين خلقه ، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء ، وعلمت أنه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق وأني مراد بهم لقوله وبهاك بين خلقه .

- وقد انتفع سيدي ابن عطاء انتفاعا عظيما بصحبة شيخه العارف بالله سيدي أبي العباس المرسي ، يدلنا على ذلك قوله في وصفه :

" وإمامنا وقدوتنا في هذا الشأن أوحد وقته ، وعلامة زمنه ، علم العارفين ، قطب المهتدين ، مظهر سماء الحقيقة ، ومبين معالم الطريقة ، الجامع معلم الظواهر والسرائر سيدنا شهاب الدين أبو العباسي أحمد بن عمر الأنصاري المرسي الشاذلي قدس الله سره ، وهو الذي اقتبسنا من أنواره ، وسلكنا على نهج آثاره ، وهو الذي أسرع بأسرارنا حتى لحقت ، ودقدق ألسنتنا حتى نطقت ، غرس غرائس المعرفة في قلوبنا فأينعت ثمراتها ، وفاحت زهراتها .

- ثم يقول الإمام ابن عطاء : وليس شيخك من سمعت منه ... إنما شيخك من أخذت عنه ، وليس شيخك من واجهتك عبارته... إنما شيخك الذي سرت فيك إشارته... وليس شيخك من دعاك إلى الباب... إنما شيخك الذي رفع بينك وبينه الحجاب... وليس شيخك من واجهك مقاله... إنما شيخك الذي نهض بك حاله .

شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى... ودخل بك على المولى ... شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك... نهضك إلى الله تعالى فنهضت إليه... وسار بك حتى وصلت إليه... وما زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه... فزج بك في نور الحضرة وقال ها أنت وربك... هنالك محل الولاية من الله ومواطن الإمداد من الله... وبساط التلقي من الله ... ثم إن شاء أبقاه في بحر الفناء... وإن شاء أرجعه إلى ساحل البقاء... و صاحب الفناة مدعو إلى الله ... وصاحب البقاء داع إلى الله على بصيرة من الله ... قال تعالى (قل هذا سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) ... أي على معاينة ومطالعة لا أدعو إليك وأنا غائب عنك... بل أدعو إليك وأنا ناظر إليك .

(انتهت المحاضرة القيمة من سيدي العارف بالله سيدي حسن كامل الملطاوي نفعنا الله بمدده)